يا عطّارين دلّوني

بقلم علياء رياض الصلح

عشية الاستقلال عام ٢٠٠٠ قررت العودة الى الوطن وانتهيت من تحضير حقائبي. هذه عباءتي وذاك معطفي وهذا حبي وذاك شوقي وهذه لحفتي وتلك لهفتي وأخيرا هذا منطقي. كي لا أصدعه تركت لـه المكان الارفع في حقيبة لا تفارقني. حتى هذه امتلأت يا ربي، ماذا أصنع بهذا المنطـق؟ انـه دائمـا تاعبني.

لا همّ، تذكرت ان اخواتي قلن لي ان المنطق في لبنان لم يعد هو المنطق القياس الـذي نعـرف بـل أضحى "مناطق" تُفصّل وتُحاك على قياس الظرف القاهر والأمر الجائر. فما عليّ الا ان أرسل بعـض مواصفاتي سلفاً كي يحاك ويُفصل لي منطق جديد أتجلبب به حين تطأ قدماي أرض الوطن.

وفي لهفتي واستعجالي للعودة وضعت نقاط المنطق هذه كما بدرت لي مع حفظ الاهمية بلا ترتيب:

نقطة منطق رقم :١

– كنا نصدّر الرأي الحر لكل مقهور في عالمنا العربي

وبات همنا استيراد الرأي الواحد الأحد كي يقهرنا. فأين المنطق؟

– نقطة منطق رقم :٢

– أعطانا لبنان الاستقلال حرية التعددية المنفتحة ورحابتها فجعل الدنيا لنا منبرا. فكفرنـا وجحدنـا وعدنا الى ضيق الخصوصية الملتزمة وتزمتها: هذا ابن طائفته وذاك ابن عشيرته وثالث ابن تجارتـه ورابع ابن مصلحته وخامس ابن ارتباطه، فضاق الافق وضاق الصدر. فكان ما كان فأنـهكنا أنفسـنا واستُبيح وطننا ولم نتعظ وها نحن في هذه الايام نعيد الكرّة فأين المنطق؟

نقطة منطق رقم :٣

– قبل زمن الخنوع هذا كان لبنان وسوريا أخوين متحابين متقاربين متسـاويين جـاهدا معـاً لنيـل الاستقلال.

ولظرف ما نال لبنان استقلاله قبل سوريا فسرّت هذه لأخيها. وهنأت بوفد سوري رسمي الى السـرايا في بيروت ولم تطلب منا ان نجمّد الاستقلال حتى يتزامن المساران. وبعد ايام نالت سوريا مـا نلنـاه وفرحنا. وكان المهنئ هو رئيس حكومة سوريا سعدالله الجابري خالي والمهنأ رئيس حكومـة لبنـان رياض الصلح أبي، اي عائلة واحدة. لكن التعامل كان ضمن الاصول واللياقـة واحـترام الأحبـاب والأرحام والصداقات المتساوية.

واليوم كدنا نؤجّل معجزة التحرير من أجل وحدة المسار، فأين المنطق؟

نقطة منطق رقم :٤

– بعدما دخل عارنا القاموس وأصبحت الشرذمة هي اللبننة ظهرت بيننا فئة فالحة ذات بأس وايمـــان حمل ابطالها راية الله وراية الوطن فاستطاعوا بجهادهم وقتالهم وتشوقهم الى الجنة ما لم يستطع اليـــه جيش نظامي. فدحروا اسرائيل وحطموا أسطورة الجيش الذي لا يُقهر، فأضاءوا لبنان ببدر التحريـــر الذي كاد ان يكتمل، ومع ذلك جاء من يصفه بالهلال الذي لا يكاد ان يبزغ، فأين المنطق؟

نقطة منطق رقم :٥

– مسار مدعى عليه مطارد من عدالة واشنطن ومسار يُدعى الى واشنطن. مسار ملتهب روى ثـــأره بدمائه ونال نصرا. ومسار هادئ مترقب ان تعيد الحق مهارة مفاوضه، فكيف يتزامن المساران وأيـــن المنطق؟

نقطة منطق رقم :٦

– الجيش السوري دخل لبنان بناء على استغاثة نصارى لبنان في معركتهم مع المقاتلين الفلســطينيين، فدخل الجيش السوري دون ان يستأذن الدولة اللبنانية، والآن النصارى هم هم يطالبون الجيش السوري باعادة الانتشار استعدادا للخروج. والخروج في هذا الزمن أسهل من الدخول في الظـــروف والزمـــن الذي دخل به هذا الجيش ومع ذلك بات الامر فجأة أمراً حكومياً صرفاً فأين المنطق؟

نقطة منطق رقم :٧

– لم أسمع يوما ان الرئيس حافظ الاسد او ان ابنه الرئيس بشار الاسد قد استشارا الرئيس الهراوي او الرئيس لحود عند تعيين رؤساء وزرائهم او بتشكيلة وزرائهم. أو أن الرئيس كسم أو أن الرئيس ميرو مرّا علينا للاستئناس برأي أو لابلاغ مجهود. وأضعف الايمان لم أسمع بمرشـــح واحـــد للانتخابـــات السورية توجه الى ثكنة الحلو او ثكنة أدما في لبنان كي يعرف حظوظـــه في النجاح. فأين المعاملـــة بالمثل وأين الاخوة بل أين المنطق؟

... ويا عطارين دلّوني المنطق فين أراضيه!